مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد 07 ،العدد 03 ديسمبر ،2021 ص - ص:180-191

تقييم المؤرخ أبو القاسم سعد الله لفترة الحكم العثماني في الجزائر.

Historian Abu al-Qasim Saadallah's assessment of the period of Ottoman rule in Algeria.

د جبران لعرج(*)
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية– جامعة سيدي بلعباس-oustadjebrane@outlook.fr

تاريخ الاستلام: 30 /2021/07 تاريخ القبول:16 /2021/11 تاريخ النشر: 05 /2022/02

الملخص

إن الدافع من وراء اختيارنا لموضوع تقييم المؤرخ أبو القاسم سعد الله للحكم العثماني بالجزائر ، هو ما ذكره المؤرخ نفسه حول قناعته بضرورة إيلاء هذه الفترة بكثير من الاهتمام خاصة في مجال التنقيب عن المخطوطات ذات الصلة بهذا العصر، و التي لم تحقق إلى غاية يومنا الحالي.

حاولت أن أقف عند تقييم المؤرخ سعد الله للعهد العثماني من خلال كتابه تاريخ الجزائر الثقافي في جزئه الأول والثاني والذي يغطي فيه مرحلة الجزائر العثمانية ما بين 1500 و1830م. و من هنا يحق لنا طرح التساؤلات الآتية: كيف قيم المؤرخ الفترة؟ و ما هي الحقائق التي أوصلته إلى ذلك التقييم؟ وهذا ما سأحاول الإجابة عنه في هذه الدراسة.

الكلمات الدالة: أبو القاسم سعد الله؛ العهد العثماني؛ الجزائر ؛ تاريخ الجزائر الثقافي؛ التقييم.

Abstract:

The motive behind our choice of the subject of historian Abu al-Qasim Saadallah's evaluation of the Ottoman rule in Algeria is what the historian himself mentioned about his conviction that this period should be given a lot of attention, especially in the field of excavation of manuscripts related to this era, which have not been achieved until the present day.

I tried to stop the historian Saadallah's evaluation of the Ottoman era through his book The Cultural History of Algeria in its first and second parts, in which he covers the stage of Ottoman Algeria between 1500 and 1830. From here we have the right to ask the following questions: How did the historian evaluate the period? And what are the facts that led him to that evaluation? This is what I will try to answer in this study.

*المؤلف المرسل.

Keywords:	Abu Al-Qasim Saad Allah; Ottoman era; Algeria; Algeria's cultural history; Evaluation.

1.مقدمة:

رغم كل النعوت والأوصاف التي وصف بها الحكم العثماني في كونه مرحلة خمول وتدهور وجمود فكري إلا أن المخطوطات الكثيرة التي بقيت أدراج المكتبات العالمية،أو بقيت حبيسة المكتبات الخاصة، أو تلك التي فقدت نسختها الأصلية، أو التي لم يسلط عليها الضوء إلى حد اليوم بسبب عوامل كثيرة ربما تجيبنا عن الكثير من الإشكاليات والتساؤلات المطروحة اليوم.

إن اختيارنا لهذا الموضوع بالذات **نظرة الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله للحكم العثماني بالجزائر** إنما الدافع من ورائه هو ما ذكره الأستاذ سعد الله في كثير من الأحيان حول ضرورة إعطاء هذه الفترة من تاريخنا الكثير من الاهتمام خاصة في مجال التنقيب عن المخطوطات ذات الصلة بهذا العصر، و التي لم تحقق إلى غاية يومنا الحالي.

حاولت أن أقف عند تقييم المؤرخ سعد الله للعهد العثماني من خلال كتابه تاريخ الجزائر الثقافي بجزأيه الأول والثاني الذي يغطي فيه مرحلة الجزائر العثمانية ما بين 1500 و 1830م.ومن هنا يحق لنا طرح التساؤلات الآتية: كيف قيم المؤرخ الفترة؟ و ما هي الحقائق التي أوصلته إلى ذلك التقييم؟ وهذا ما سأحاول الإجابة عنه في هذه الدراسة من خلال التعرض للعوامل المؤثرة على الكتابة التاريخية عند سعد الله، وكذلك تقييم العهد العثماني بالجزائر من خلال نظرة الأستاذ له سلبا وإيجابا.

2.العوامل المؤثرة في الكتابة التاريخية عند أبي القاسم سعد الله[1]:

تتأثر أي كتابة تاريخية بمجموعة من العوامل، ومنها شخصية المؤرخ وأفكاره ونفسيته، وانتمائه الاجتماعي والإيديولوجي، وتكوينه اللغوي والثقافي ،إضافة إلى المنهج الذي يعتمده

صاحب الكتابة، دون أن ننسى مدى تأثير الظروف المحيطة بالمؤرخ أثناء صياغة بحثه وعمله، ولا تخلو كتابة أي باحث من هذه المؤثرات، ولا يعد باحثنا استثناء في ذلك.

يؤكد الأستاذ الدكتور رابح لونيسي من جامعة وهران أن المتتبع للخطاب التاريخي لأبي القاسم سعد الله يدرك أن هذا الأخير تحكمت فيه ستة عوامل هي:

- رفضه للمركزية المشرقية.
- الحرص على وحدة الوطن الجزائري و تاريخه.
- العمل من أجل إحياء الثقافة العربية في الجزائر و إبرازها.
- فلسفته المثالية الهيغيلية.
- تعاطفه مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
- ابتعاده عن القضايا الحساسة والقريبة.[2]

وبفضل التكوين الأكاديمي الذي تلقاه المؤرخ سعد الله فقد تميزت الكتابة التاريخية عنده– و هذا حسب ما يذكره الأستاذ محمد بليل–بالجدية والصرامة العلمية، وإنتهاجه للأساليب الدقيقة بالتنقيب عن المصادر الغنية بالتراث والأدب والفكر، والغوص فيها بالتحقيق والنقد من أجل إثبات الحقائق التاريخية، والتأكيد بأن الشعب الجزائري قد أنتج نخبا مثقفة ومفكرين في مختلف المعارف والعلوم.[3]

3. نظرة سعد الله للحقبة العثمانية بالجزائر:

تعد الحقبة العثمانية من تاريخ الجزائر، حقبة مهمة وحاسمة من تاريخ الجزائر الحديث، فقد عدت حلقة وصل بين العهود الإسلامية، بأوضاعها الاجتماعية، وواقعها الاقتصادي، وتفاعلاتها السياسية، وبين الحقبة الاستعمارية وما حملته من هيمنة عسكرية، وتبعية حضارية، وتوجهات اقتصادية، وقناعات ثقافية، حيث اكتسبت الجزائر في العهد العثماني خصوصيتها المتميزة وأعطي للوطن الجزائري مواصفاته الخاصة ومقوماته الأساسية.

ويعد المؤرخ أبو القاسم سعد الله من بين رواد المؤرخين الذين أرخوا وبعثوا الروح في كثير من تراث ومصادر المرحلة العثمانية، الوثائقية والمخطوطة، بالقدر الذي بلور لديه رؤيته لهذه الحقبة في الجزائر التي نحاول وضع تفسيرات لآرائه حولها.

قد تكون **الهوية الوطنية الجزائرية** من الهواجس الضاغطة على مسار مؤرخنا البحثي، الذي جعلت منه مفكراً، ومؤرخاً أكاديمياً للتاريخ الجزائري الحديث، بوجهة نظر جزائرية التي تعني لديه **استرداد العناصر الصالحة من حياتنا الماضية التي حاول المستعمرون طمسها**"، وهو الاهتمام الذي زج به في مواجهات ومناقشات لحقب التاريخ مع المؤرخين الذين تناولوا هذا التاريخ من الفرنسيين والعرب، وكانت الحقبة العثمانية في الجزائر من أبرز اهتماماته، والتي قادته إلى ثنائية :**التنديد** حيناً، و**التمجيد** أحياناً لتلك الحقبة" الوسيطية "في اعتقاده، أو فترة "الدولة الجزائرية العثمانية"على حد تعبيره.[4]

يبدأ سعد الله بالتأريخ للحقبة العثمانية في مؤلفه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر من خلال طرح تلك التساؤلات الجوهرية العميقة، على غيره من المؤرخين" :**هل جاء العثمانيون إلى الجزائر غازين أو منقذين ؟ وهل كان وجودهم خيراً وبركة على البلاد وأهلها أو كان شراً ونقمة عليها ؟ وهل كانت الجزائر في عهدهم مستقلة أو تابعة؟** إلى غير ذلك من التساؤلات التي مازالت لم تنته ولا نتوقع أنها ستنتهي ذات يوم.[5] وهي التساؤلات الأساسية الباعثة على الخصوصية في التاريخ الجزائري والمغاربي عموماً، ومبعث هذه الخصوصية الظرفية التاريخية للحضور العثماني في الإيالات المغاربية(طرابلس الغرب، تونس، الجزائر)كما سبقت الإشارة، والتي اتسمت فيها الإدارة العثمانية بالخصوصية عن الولايات العربية المشرقية، والأوروبية، لاسيما إيالة الجزائر، التي خضعت إلى إجراءات مختلفة عما هو الحال في الإيالات الأخرى، بسبب بعد الجزائر المكاني عن مركز الدولة في استانبول، والظروف الإقليمية المحيطة بها، وكون حالة الحرب المتواصلة مع القوى الأوروبية، الأمر الذي جعل أهالي هذه الإيالة يطلبون العون والتدخل العثماني لنجدتهم.[6]

و من خلال تتبع ما كتبه المؤرخ أبو القاسم سعد الله في مؤلفة تاريخ الجزائر الثقافي بجزأيه الأول والثاني[7] لاحظنا ازدواجية الطرح لديه فيما يخص موقفه من الحقبة العثمانية بالجزائر، على النحو الآتي:

1.3.التنديد أو النقمة:

يباشر الأستاذ سعد الله حالة التنديد بالحقبة العثمانية من زاويتين رئيستين متتابعتين، هما :**حالة التخلف والانحطاط** لهذه الحقبة،وها هو يبين ذلك عندما ينعث العثمانيين بأنهم «**كانوا في معظم الأحيان جهلة لا يعرفون حتى القراءة والكتابة، كما كانوا مغامرين لا فائدة لهم من الحكم إلا جمع المال والتسلط...**»[8] و بهذا حكموا الجزائر بقبضة من حديد.

كما أن العثمانيين كانوا يسلبون الجزائريين أموالهم وثرواتهم عن طريق الضرائب والرشوة وغيرها، بل «**إنهم تعدوا على حركات الأوقاف وأموال العجزة واليتامى.وكانوا لا يسمحون للجزائري أن يقترب من النفوذ السياسي ...**»[9]

وقد تميز الحكم العثماني بالجزائر بجملة من مميزات يذكرها الشيخ سعد الله في :

- عدم توظيف الجزائريين في الوظائف السامية بل اقتصر ذلك على الوظائف الثانوية.
- لا يساوون في تطبيق أحكام الشريعة بين المسلم الجزائري والمسلم العثماني.
- تمكين طائفة اليهود من الاقتصاد الجزائري.
- تفضيل الأسيرة المسيحية على المرأة الجزائرية المسلمة.
- لا يتكلمون لغة الجزائريين و لا يستعملونها في الإدارة إلا قليلا.[10]

فلقد تميز ت الحقبة العثمانية بالجزائر بالعنف الدموي وانتشار الظلم والفساد، فقد كانوا «**جفاة غلاظا**»[11] حسب مؤرخنا سعد الله.

وكثيرا ما يطرح المؤرخين والدارسين هذا السؤال: هل كانت للدولة العثمانية سياسة تعليمية في الجزائر؟.وعن هذا السؤال يجيبنا الأستاذ حنيفي هلايلي قائلا: إن الدارس للجانب الثقافي من تاريخ الجزائر العثمانية يجد ما يشير إلى ذلك، لأن التعليم في هذه الفترة ارتبط

بالأفراد والعائلات والمؤسسات الحرة، بينما ظل دور الدولة العثمانية هامشيا، إذ لم يكن لها أي دخل و لا إشراف على هذا الميدان التربوي.[12]

وتظهر سلبية الوجود العثماني ،حسب سعد الله، في الجزائر في المجال الثقافي على وجه الخصوص. فالعثمانيون « **لم يؤسسوا جامعة كالقرويين أو الأزهر أو الزيتونة تبث العلم وتخرج العلماء والكتاب وتحفظ اللغة وتربي العقل.** »[13] وحول سياسة التعليم يؤكد الأستاذ أن الدولة العثمانية «**لم يكن لها أي دخل في هذا الميدان.فلم يكن في الحكومة الجزائرية عندئذ وزير لشؤون التعليم ولا مدير أو وكيل أو نحو ذلك من الوظائف الرسمية.** »[14]

وعموما لم تتدخل السلطة العثمانية في الجزائر في سياسة التعليم، بل – حسب الأستاذ سعد الله– فإنه «كان لهذه السلطة سياسة و هي عدم التدخل في شؤون التعليم.فإذا انتشر التعليم فالأمر لا يعنيها و إذا تقلص فالأمر كذلك لا يعنيها. »[15]

وعندما يتساءل مترجمنا حول هذا العهد، هل هو عهد الانحطاط الثقافي؟ فهو من جهة يؤكد على أن عهود الانحطاط السياسي والثقافي قد بدأت قبل القرن العاشر الهجري الموافق للقرن السادس عشر الميلادي بفترة طويلة. وهو يؤكد أن ظاهرة الجمود الثقافي كانت السمة البارزة في العهد العثماني، وأن«**حكام الجزائر كانوا أبعد الناس عن هذا الميدان.**»[16] وهكذا لما شاع الجمود الثقافي في هذه الحقبة وشاع معه «**الدروشة والتخلف السياسي،**»[17] فقد التمس العلماء بالجزائر «**نشاطهم العقلي في دراسة أعمال السابقين والنظر إليها نظرة تقديس.**»[18]

وعندما يتحدث الأستاذ أبو القاسم سعد الله عن العلاقة بين الجزائريين والعثمانيين في الجزء الأول من مؤلفه تاريخ الجزائر الثقافي فهو يؤكد على أن الرابطة بينهما هي الإسلام والخلافة، أو العقيدة الإسلامية ثم الولاء للسلطان.ولكن حسب رأيه أن «**الحكام العثمانيين لم يحترموا هذا المبدأ فتركوا الحكم ونظروا للجزائريين نظرة الغالب للمغلوب.**»[19] والمفروض والأصح في هذه الحالة أن يختلط العثمانيون مع الجزائريين.ولكنهم «**في الواقع**

أساؤوا التصرف، كمعظم الحكام عندئذ فحكموا كفئة متميزة واحتكروا الحكم في أيديهم طيلة الفترة العثمانية واستبدوا واستذلوا السكان واستعلوا عليهم وعاملوهم معاملة المنتصر للمهزوم.»[20]

ولأن حقبة الحكم العثماني بالجزائر طبعت بطابع الجهاد والحروب الخارجية واستمرار التهديد الأجنبي فقد انتشر الخوف «**الدائم من الخارج والاستبداد المطلق في الداخل.**»[21] وقد انعكست هذه الحالة على الحياة الثقافية بالجزائر التي طبعها الجمود.

وفيما يخص علاقة العلماء بالحكام فيؤكد الأستاذ سعد الله على تقسيمها إلى علاقة طيبة وأخرى سيئة.لقد كان الحاكم العثماني ملتزما بمبدأ الدفاع عن الدين والجهاد في سبيله.فهو يعترف أنه من رجال السيف وأنه لا شأن له بالطرف الآخر من القضية، وهو الدين والعلم.وانطلاقا من هذا المبدأ فإن الحاكم العثماني فرض على العلماء عدم التدخل في سياسته وحروبه، مثلما ألزم نفسه بعدم التدخل في شؤونهم الدينية والقلمية. وهو على هذا يغضب ويسخط على العلماء إذا ما اقتربوا من حكمه.[22] ولما كان الشعر يعبر عن حالة الشعوب ومجتمعاتها فقد لاحظنا من خلال مؤلف تاريخ الجزائر الثقافي في جزئه الثاني أن الشعر في الجزائر العثمانية لم يرتبط بالسياسة إلا في مناسبات محدودة حصرها الأستاذ سعد الله في الجهاد ضد الأجانب، ومدح بعض الأمراء طمعا في مالهم.وقد فرق الأستاذ موقف الشعراء الجزائريين من العثمانيين مدحا وذما.[23]

ومن أبرز من ذم الأتراك من الجزائريين نجد الشاعر سعيد المنداسي الذي عاش خلال القرن 11 هـ/ 17 م الذي عاش بمدينة تلمسان، ومن شعره ما يلي:

فما دب فوق الأرض كالترك مجرم و لا ولدت حواء كالترك إنسانا

وقد وصف شاعرنا الأتراك «**بأبشع الأوصاف و أقذعها، و اتهمهم بالفحش والشره في حب المال، و ارتكاب الجرائم،كما أنه تحدث عما عانت تلمسان منهم...**»[24]

وعموما إذا كان الحكم على ازدهار الحياة الثقافية في عصر من العصور يقوم على أساس تطور العلوم والفنون فيه،فإن العهد العثماني في الجزائر – حسب الأستاذ أبو القاسم سعد الله–

«**يعتبر فقيرا في هذه الناحية.**»[25] فقد كان عنايتهم بتدوين الطب والحساب والفلك والرسم والعمارة والموسيقى قليلة.ذلك أن ما كان متداولا من هذه العلوم والفنون لم يكن يخرج عن تقليد السابقين ولم يكن ممارسوه يتمتعون بالاستقلال العقلي وروح الابتكار.[26]

2.3.التمجيد أو الاعتزاز:

ويتخذ أبو القاسم سعد الله **نهجاً تمجيديا** للحقبة العثمانية في بعض آثاره، لاسيما المتأخرة منها والتي تناولت البدايات الأولى للتدخل العثماني في الجزائر من خلال تحليله لطبيعة الصراع القائم في غرب البحر المتوسط بين المسيحية والإسلام، أو أسبانيا والدولة العثمانية التي وقفت في وجه المد الغربي المسيحي" **ومن ثمة يبرز دور الدولة العثمانية في حماية العالم الإسلامي والدفاع عنه**" ويعترف بدور العامل الديني وأهميته في التفاف الجزائريين حول العثمانيين الذين ظهروا على المسرح كحماة للإسلام ولكن كثيراً من السكان لم يفهموا من ذلك الانضمام إلى الحكم العثماني بصفة دائمة، بل اعتقدوا أنه مجرد تحالف مؤقت وتعاون لدفع الخطر المشترك الذي أضحى عهداً مديداً للحكم العثماني في الجزائر التي تجمع الدراسات التاريخية على أهمية هذا العهد في التأسيس للدولة الجزائرية الحديثة والمعاصرة.[27]

وهنا نرى الشيخ أبو القاسم سعد الله يتحدث عن الجانب المنير من العهد العثماني بالجزائر حين يذكر في الجزء الأول من مؤلفه ما ليلي: «**أما الجانب المضيء منه– أي العهد العثماني– فهو أن العثمانيين قد أنقذوا بتدخلهم، في بداية القرن العاشر، المغرب الإسلامي من الاحتلال الأجنبي المؤكد.وقد كانوا في ذلك غزاة مجاهدين تحالفوا مع الجزائريين لصد العدوان الصليبي وحماية الثغور وإقامة حكم إسلامي ثابت وقوي ظل طيلة ثلاثة قرون شوكة في حلق العدو...وصخرة تحطمت عليها كل محاولات الغزو الخارجي.**»[28]

وكذلك عندما طرح مؤرخنا إشكاليته: هل يصح أن نطلق على العهد العثماني عهد الانحطاط الثقافي؟ وبدأ في إبراز نقاط الانحطاط ومجالاتها، نراه يحيل القارئ إلى ضرورة الرجوع إلى ما قبل القرن العاشر باعتبار أن عهود الانحطاط السياسي والثقافي قد بدأت قبل ذلك

بفترة طويلة.[29] وكأن بالشيخ سعد الله يبرر لهذه الفترة ويبعد عنها اللوم الكامل في ما حل بالجزائر من تخلف وأن الدولة العثمانية ليست الوحيدة المتهمة في هذا التخلف والانحطاط.

وفيما يخص التعليم ورغم أن الدولة العثمانية، وهذا حسب رأي الأستاذ سعد الله، لم يكن لها دخل فيه إلا أنها لم تمنع مع ذلك من تبادل الأستاذة مع البلاد الإسلامية، «**فقد سمح العثمانيون لعلماء غير جزائريين باستيطان الجزائر والتدريس والتوظف فيها كما سمحوا لعلماء الجزائر وطلبتها بنشدان العلم بالمعاهد الإسلامية خارج الجزائر.**»[30] وبهذا فإن لم تكن الدولة العثمانية لم تول اهتمامها بالتعليم فهي من جهة أخرى لم تعرقل مساره ولم تحارب التعليم الخاص الذي انتشر انتشارا واسعا، ويمكن حسب رأي الأستاذ حنيفي هلايلي أن نسمي موقفها هذا إزاء التعليم بالحياد الإيجابي.[31]

4.خاتمة:

إن القراءة المتأنية لبعض آثار عميد المؤرخين الجزائريين حول الحقبة العثمانية في الجزائر أوضحت بجلاء النهج المتميز الذي انتهجه المؤرخ في دراسة التاريخ الجزائري أثناء العهد العثماني بعيدا قدر الإمكان عن الجدل، والمناقشات والرؤى الأوربية أو العربية لهذا العهد،بحيث كانت قضيته الأساسية التأريخ للوطن الجزائري في هذه المرحلة التأسيسية، فجاءت كتاباته متميزة ذات خصوصية بين التنديد والتمجيد للحقبة العثمانية، تبعا لما تجود به عليه مصادره التاريخية المتعددة من مادة علمية، وبعيداً عن تبني أحد الأطروحات البحثية السائدة في المشهد التاريخي العربي المعاصر تجاه الحقبة العثمانية، مع حالة من الالتزام برؤيته التي تراعي خصوصية النظرة المغاربية لهذه الحقبة التاريخية.

نرجو من الباحثين بدل المزيد من الاهتمام بهذه الحقبة من تاريخنا الوطني، وهذا بالبحث والتنقيب عن المخطوطات المتناثرة هنا وهناك في العالم خاصة بتركيا، ومصر؛ وهذا من أجل نفض الغبار عن الكثير من الوقائع والأحداث التاريخية التي لا تزال غامضة لحد الساعة. كما ندعو وزارة التعليم العالي والبحث العلمي لفتح باب التعاون العلمي مع مؤسسات الأرشيف

بتركيا ومصر بغية استرجاع ما يمكن استرجاعه من المخطوطات الموجودة هناك على الأقل في صورتها الرقمية ليستفيد منها الأساتذة والباحثين في إنجاز البحوث والدراسات المتعلقة بالفترة العثمانية بالجزائر.

5.قائمة المراجع:

1/ بليل محمد. الكتابة التاريخية عند شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله بين العاطفة الذاتية و الحقيقة التاريخية. *عصور الجديدة* .وهران،العدد:13، الصفحات 284-302،2014.

2/ جبران لعرج ، أبو القاسم سعد الله:الإنسان والباحث من خلال الشهادات الحية.المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية.سيدي بلعباس، مج 7، العدد 2،(الصفحات 132-149)،2016.

3/ هلايلي حنيفي، أبو القاسم سعد الله بين إزدواجية التأليف و الترجمة. *عصور الجديدة.وهران* ،العدد:13،(الصفحات 262-273)،2014.

4/ لونيسي رابح، العوامل المؤثرة في الخطاب التاريخي لأبي القاسم سعد الله. *عصور الجديدة* .وهران،العدد:13، (الصفحات 274-281)،2014.

5/ سعد الله أبو القاسم، *أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر*. الجزائر: دار الرائد و عالم المعرفة،2009.

6/ سعد الله أبو القاسم، *تاريخ الجزائر الثقافي 1830/1500* . ج1+ج2.بيروت: دار الغرب الإسلامي،.1998

7/ قدارة فاتح رجب،رؤية المؤرخ أبو القاسم سعد الله للحقبة العثمانية في الجزائر 1830/1516. *مجلة الجامعة*. الوادي،المجلد:2،العدد:18،(الصفحات 5-36)،2016.

6.الهوامش:

1/ ولد بلقاسم بثلاث نقاط على حرف القاف، كما يقول عن نفسه بقرية البدوع المجاورة لمدينة قمار بوادي سوف.و كان مولده في صيف حار حوالي سنة 1930 أو 1931.عاش أبو القاسم سعد الله حياة الصحراءبما فيها من قساوة العيش، وحسن الخلق، ورحابة الصدر.دخل الجامع القبلي بقريته في سن الخامسة

من عمره فحفظ القرآن الكريم حوالي سنة 1944 على عهد شيخه أبو القاسم بن البرية.من أهم محطات حياته ما يلي:

- مواصلة الدراسة بتونس ما بين 1947 و 1954 أين تحصل على شهادة التحصيل.
- مباشرة مهنة التعليم بالجزائر ما بين 1954 و 1955 في كل من مدرسة الثبات بالحراش ومدرسة التهذيب.
- استكمال الدراسة بالقاهرة عام 1955 ليتحصل على شهادة الليسانس في الأدب العربي والعلوم الإسلامية في جويلية 1959.
- تدريس أبو القاسم بجامعة ويسكنس بأوكلير خلال 1967/1965.
- التحاقه بجامعة الجزائر كأستاذ عام 1967.

بقي الأستاذ أبو القاسم سعد الله منشغلا بين التدريس والتأليف إلى أن وافته المنية بتاريخ 14 ديسمبر 2013 أين دفن في مكان مولده.للمزيد حول الموضوع ينظر: لعرج جبران، أبو القاسم سعد الله:الإنسان والباحث من خلال الشهادات الحية (الصفحات 132-149).المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية.سيدي بلعباس، مج 7، العدد 2،2016،ص 133-136.

2/ رابح لونيسي، العوامل المؤثرة في الخطاب التاريخي لأبي القاسم سعد الله (الصفحات 274-281). *عصور الجديدة* .وهران،العدد:13،2014، ص275.

3/ محمد بليل، الكتابة التاريخية عند شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله بين العاطفة الذاتية و الحقيقة التاريخية(الصفحات 284-302). *عصور الجديدة* .وهران،العدد:13،2014، ص286.

4/ فاتح رجب قدارة، رؤية المؤرخ أبو القاسم سعد الله للحقبة العثمانية في الجزائر 1830/1516(الصفحات 5-36). *مجلة الجامعة*. الوادي،المجلد:2،العدد:18،2016، ،ص.22.

5/ أبو القاسم سعد الله، *أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر*. الجزائر: دار الرائد و عالم المعرفة،2009،ص9.

6/ فاتح رجب قدارة، المرجع السابق،ص23.

7/ أبو القاسم سعد الله، *تاريخ الجزائر الثقافي 1830/1500*. ج1+ج2.بيروت: دار الغرب الإسلامي،1998،ص

8/ أبو القاسم سعد الله،، *تاريخ الجزائر الثقافي*، المرجع السابق،ص 14.

9/ نفسه،ص15.

10/ نفسه،ص15.

11/ نفسه،ص15.

12/ حنيفي هلايلي، أبو القاسم سعد الله بين إزدواجية التأليف و الترجمة(الصفحات 262-273). *عصور الجديدة.وهران* ،العدد:13،2014،ص264.

13/ أبو القاسم سعد الله،، *تاريخ الجزائر الثقافي*، المرجع السابق،ص 18.

14/ نفسه،ص313.

15/ نفسه،ص314.

16/ نفسه،ص.19

17/ نفسه،ص21.

18/ نفسه،ص21.

19/ نفسه،ص140.

20/ نفسه،ص141.

21/ نفسه،ص143

22/ نفسه،ص410.

23/ نفسه،ص253.

24/ نفسه،ص265.

25/ نفسه،ص401.

26/ نفسه،ص401.

27/ فاتح رجب قدارة، المرجع السابق،ص28.

28/ أبو القاسم سعد الله،، *تاريخ الجزائر الثقافي*، المرجع السابق،ص 15.

29/ نفسه،ص19.

30/ نفسه،ص320.

31/ حنيفي هلايلي، المرجع السابق،ص264.